" أسلوب الخليفة عبد الله بن محمد بن عليّ السّفّاح السّياسيّ ودوره في تثبيت أركان الدَّولة العبَّاسيَّة (132-136هـ/749-754م)"

" The Political Manner of Abdullah Bin Mohammad Bin Ali Al_Saffah and His Role in Stabilizing the Pillars of the Abbasid State (132H_136H)"

شادن محمد جمعه الوحش [1] أسمى فرحان عبد الرحمن الشراب [2]
Shaden Mohammd JUMA: Al-whash [1] Asma Farhan Abdul Rahman Al-Sharab [2]

10.15849/ZJJHSS.230730.10

الملخص

يُعَرِّفُ هذا البحثُ بالدَّورِ السِّياسيّ الّذي قامَ بهِ أبو العبَّاس السَّفَّاح أوَّلُ خُلَفَاءِ الدَّولةِ العبَّاسيّة لإنجاحِ الدَّعوةِ العبَّاسيّة وضمانِ وصولِ الخِلافةِ إليهم. والسَّفّاحُ لم يتمتَّع بحضورٍ كبيرٍ في صفحات الدَّارسين لبدايةِ تأسيسِ الدَّولةِ العبّاسيّة بسبب زخم الأحداثِ الّتي أحاطَتْ بتلك المرحلة من التَّاريخِ الإسلاميّ رغم دورِهِ الكبير. تعتمدُ هذه الدِّراسةُ المنهجَ التَّاريخيّ التَّحليليّ، ووتتضمّنُ رؤيتُهُ إلقاءَ الضَّوءِ على أُسلوبِ السَّفّاحِ السّياسيّ في الإعلانِ عن نفسِهِ خليفَةً للمسلمين وحجمِ المخاطِرِ الّتي اعترَضَتْهُ وتجاوُزِها. كما تُبَيِّنُ الدِّراسةُ أزمةَ اختيارِ وليّ العهد وقيامِهِ بمجهودٍ كبيرٍ لأخذِ البَيْعَةِ لأبي جعفر المنصور ثاني خُلَفَاء الدَّولةِ العبّاسيّة. البحثُ يتناولُ عددًا من الموضوعاتِ المهمَّة، منها: المخاطِرُ الّتي انطوَتْ على قبولِهِ لقيادةِ الدَّعوةِ العبّاسيّة، ثمَّ البَيعةُ لهُ، ثم دورُه في تثبيتِ الخِلافَةِ، وصعوباتُ اختيارِ وليّ عهدٍ من بَعدِهِ. لقد أثبتَتْ الدِّراسةُ أنَّ أبا العبّاس السّفّاح كان مِنْ أقوى خُلَفاءِ الدَّولةِ العبّاسيّة، فهو أنجَحُ مَنْ تولَّى أمرَ الخِلافَةِ مؤسِّسًا لدولةٍ دون أن يكونَ قد خَطَّطَ لذلك ودونَ أن يسعى لتوَلّي الخِلافَةِ في البدء.

الكلمات المفتاحية: الدّولة العبّاسيّة، الخليفة، السّفّاح.

Abstract

This research defines the Political role that had been played by Abu al_Abbas Al_Safaah, the first caliph of the Abbaside State to succeed the Abbaside Call and to ensure the succession of the Caliphate to them. Al_Safaah didn't get the attention of researchers because of the several events that happened that stage of the Islamic history. This study, which relies on the historical method, sheds light on Abu_al Abbas' political manner in declaring himself as the Caliph of the Muslims, and shows the magnitude of the risks he faced and overcame. Also, the study clarifies the crisis of electing the crown prince and how he made a great effort to get the pledge of allegiance to Abu_Jaafar Al_Mansur, the second caliph of the Abbaside State. The research talks about different issues such as the risks that resulted because of his acceptance to lead the Abbaside Call, then the allegiance, and his role in Stabilizing the Caliphate and the difficulties of electing a crown prince after him. The study proves that Abu al _Abbas Al_Safaah was one of the greatest and the most successful caliphs of the Abbaside State who founded it without any previous planning or intention to that.

Key words: Abbaside State, Caliph, Al_Saffah

[1] جامعة الزيتونة الأردنية، الآداب، العلوم الاساسية، تاريخ اسلامي
[2] وزارة التربية والتعليم، إدارة المناهج، قسم المباحث الإنسانية، تاريخ إسلامي
*** للمراسلة:** shadenmoh@hotmail.com
تاريخ استلام البحث: 2022/09/21
تاريخ قبول البحث: 2023/06/11

[1] Al Zaytoonah university of Jordan, The Arts, Basic Sciences, Islamic History
[2] Ministry of Education, Curriculum Department, Human Investigation Department, Islamic History
*** Corresponding author:** shadenmoh@hotmail.com
Received: 21/09/2022
Accepted: 11/06/2023

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

المقدمة

يتناول البحث بالدراسة أسلوب الخليفة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح السياسي ودورَهُ في تثبيت أركان الدولة العباسية (132–136هـ/749–754م). ويعد دوره في بداية تأسيس الدولة من أهم الأدوار وأخطرها في تاريخ الدولة العباسية.

أما مشكلة الدراسة فتتمحور في عدم إلقاء الضوء على دور أبي العباس السفاح من قبل الدارسين رغم أهمية دوره في تثبيت أركان الدولة العباسية. فقد كان قبوله للدعوة العباسية خلفًا لإبراهيم الإمام ينطوي على عدد من المخاطر لو لم يتداركها لانتهت الثورة العباسية في بدايتها، ولما كان للخلافة العباسية وجود من الأصل.

أما أسئلة الدراسة فهي على النحو الآتي:

- ما مخاطر قبوله للدعوة العباسية؟
- كيف قام بتثبيت أمر الخلافة لآل البيت العباسي؟
- كيف قام باختيار ولي للعهد في ظل ضغوط عديدة من رجالات الدعوة العباسية، ومن آل البيت العباسي؟

تكمن أهمية كتابة بحث يتعلق بأسلوب أبي العباس السياسي في كونه يلقي الضوء على حنكته السياسية، ودورِه الكبير في ترسيخ دعائم الدولة العباسية بالرغم من وجود المعارضة والخصوم السياسيين.

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي. فمع العودة إلى المصادر الأولى وما تضمنته من روايات اقتبستها في هذا البحث تتناول تلك المرحلة كأساس للدراسة عملتُ على دراسة تلك الروايات وتحليلها والربط بينها للبحث في حقيقة دور أبي العباس السفاح في تلك المرحلة.

البحث يتناول عددًا من الموضوعات المهمة، منها: المخاطر التي انطوت على قبوله لقيادة الدعوة العباسية، ثم البيعة له، ثم دوره في تثبيت الخلافة، وصعوبات اختيار ولي عهد من بعده. كما يعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع المهمة والأولية، منها: أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده لمؤلف مجهول من القرن الثالث حققه الدكتور عبد العزيز الدوري، وكتاب تاريخ اليعقوبي وتاريخ الطبري وغيرها من المصادر المهمة المثبتة في قائمة المصادر والمراجع بالإضافة للعودة لمراجع وأبحاث تطرقت لأبي العباس السفاح.

تتوصل الدراسة إلى نتائج، أهمها: أنه لولا الدور الكبير الذي قام به الخليفة أبو العباس السفاح في قيادة الدعوة العباسية وإقناع رجالاته بالبقاء إلى جانبه بعد موت الإمام لما كان هناك وجود لدولة الخلافة العباسية، كما أنه لولا دوره الكبير في إقناع آل البيت العباسي بولاية العهد لأخيه أبو جعفر المنصور لذهبت البيعة إلى غيره وهو أمر حصل عليه بعد جهد كبير؛ لذلك فإن دوره كأول خليفة للدولة العباسية يعد أهم أدوار الخلفاء العباسيين، وأنه لولا قوته وثباته وحسن تعامله مع الخصوم لما قامة للدولة العباسية قائمة.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

الدراسات السابقة

الدراسات التي تتطرق للخليفة الأول أبي العباس السفاح تكاد تكون قليلة جدًّا على الرغم من أهمية المرحلة التي يقودها. ولعلَّ ذلك يعود إلى تركيز مجهودات الباحثين إما على الدعوة العباسية نفسها أولًا أو التركيز على فترة خلافة أبو جعفر المنصور ثانيًا. توجد دراسة للباحثة شادن محمد الوحش وآخرون: "أول خلفاء بني العباس (أبي العباس السفاح) حياته وتأثيره في وصوله للخلافة"، يتناول البحث كيفية وصول الخلافة لأبي العباس السفاح، وأثر نشأته في الحميمة على تشكيل شخصيته القيادية التي أدت إلى تحمله أعباء قيادة الدعوة العباسية.

المخاطر التي انطوت على قبول أبي العباس لقيادة الدعوة العباسية

تمتع أبو العباس السفاح[1] بشخصية سياسية متميزة مكنته من جعل كل القوى السياسية المخالفة له في متناول اليد، كما مكنته من ضبط سلوكيات رجالات البيت العباسي ورجال الدعوة، الأمر الذي مكنه بعد ذلك من إدارة الدولة وتعيين الولاة والقضاة وإدارة المعارك لإنهاء آخر القوى التابعة للبيت الأموي وتثبيت الخلافة للعباسيين.

يقول العمري في وصف أبي العباس: "أول خلفاء بني العباس، وهو أول من تلقى بصدره البأس، ولبس الشعار العباسي، فزرر ليله على قمره، وعقد ظفائر أعلامه السود على فرسان عسكر، وكشف قناعه لمجاهرته بني أمية..."[2].

---

[1] والسفاح هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم. ولد في سنة مئة، وقيل في سنة إحدى ومئة، وقيل في سنة ثمان ومئة... بالحميمة من ناحية البلهاء (هي البلقاء)، ونشأ بها، وبويع بالكوفة (ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص147). و(السفاح) لقب كان معروفًا به، وكان من جملة ألقابه (فاروق عمر فوزي، التاريخ الإسلامي أبحاث في النظم والسياسة خلال القرون الإسلامية الأولى، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 1426هـ/2006م، ص366). ويرى الدوري أن تسميته بالسفاح كانت نتيجة التباس بعض المؤرخين بين عبد الله بن محمد أبي العباس وعمه عبد الله بن علي. يقول ابن قتيبة الدينوري: "ولي عمه عبد الله بن علي الذي يقال له السفاح الشام" يؤكد الدينوري أن (السفاح) لقب عبد الله بن علي عم (السفاح) وليس لقبًا لأبي العباس وكان يوم توفي ابن ست وثلاثين سنة وكانت ولايته من لدُن قتل مروان بن محمد إلى أن توفي أربع سنين. انظر: ابن قتيبة الدينوري (213–276هـ) عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق علي شيري، دار الأضواء بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ/1990م، ج1، ص170. واليعقوبي، أحمد بن إسحاق، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم مِلورد، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، ص22. والطبري، محمد بن جرير (223–310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1966م، ج7، ص420. والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، 1965م، ص337–338. والخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (392–463هـ)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ص236، م11. وابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الفكر، 1399هـ 1979م، م5، ص114–115. والسيوطي، جلال الدين (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء، تقديم عبد الله مسعود، دار القلم العربي، حلب، دار الفكر، بيروت، ص238 و246. ومحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد مايو، مراجعة أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1418هـ/1997م، ص147. والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص234. وابن حزم الأندلسي (384–456هـ)، جمهرة أنساب العرب، ص20 و114 و148. والبلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج4، ص109. وأمل محي الدين الكردي، دور النساء في الخلافة العباسية، الطبعة العربية 2014م، دار اليازوري العلمية عمان، الأردن، ص29–30.

[2] ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع والعشرون، ص175.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

وتشير رواية المسعودي إلى أنه "كان مبدأ الدعوة العباسية بالكوفة وخراسان وغيرها من الأمصار في سنة 100 للهجرة وذلك أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية كان قدم على سليمان بن عبد الملك سنة 98هـ• فأُعجب به وقضى حوائجه وصرفه وضمّ إليه من سمّه في الطريق فلما أحس بذلك غدا إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ بالحميمة• وقيل بكورة من جبال الشراة و البلقاء•• من أعمال دمشق فأفضى إليه بسرائر الدعوة وعرّف بينه وبين الدعاة وأعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده، وأن الأمر إلى ابن الحارثية منهم، وأمر ببث الدعوة عند تمام المئة سنة للهجرة. فلما حضرت محمدًا الوفاة أوصى إلى ابنه إبراهيم فكانت الدعوة إليه وسمي الإمام وإليه دعا أبو مسلم بخراسان فلمّا وقف مروان بن محمد الجعدي على ذلك كتب إلى عامله يأمره بتوجيه بعض ثقاته إلى الحميمة، فيأتيه بإبراهيم الإمام فحمله إلى مروان فحبسه في المحرم من هذه السنة وهي سنة 132هـ فقتل في محبسه بعد شهرين وعهد بالأمر بعده إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وهو ابن الحارثية"[1].

وتدل الرواية على أن الدعوة العباسية خطط لها قبل ثلاثين سنة من الزمن الذي أعلن عن قيامها فيه، وأن كل من وصلت إليه الدعوة أوصى عند وفاته لابن الحارثية (أي أبي العباس السفاح) بها.

وطلب مروان إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لمّا بلغه أن دعوة أبي مسلم له، وأنه الذي يؤهل لهذا الأمر فحدث عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: "كنت مع أبي جعفر عبد الله بن محمد بالحميمة، ومعه ابناه جعفر ومحمد، وهما صبيان، فأنا أداعبهما وألاعبهما، فقال لي أي شيء تصنع بهذين الصبيين، أما ترى ما نحن فيه؟ فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد، فقلت دعني أخرج! تخرج من بيتي وأنت ابن عمار بن ياسر؟ قال: فأخذوا بأبواب المسجد، وأشير لهم إلى إبراهيم ليأخذوه، وقد كان وصف لهم بصفة أبي العباس، وأبو العباس الموصوف بقتلهم. فلمّا أتي به إلى مروان قال ليس هذه الصفة! فقال الرسول: قد والله رأيت الصفة، ولكن قلت إبراهيم بن محمد، وهذا إبراهيم بن محمد، فردّهم في طلب أبي العباس، فوجدوه قد تغّيب، فأمر مروان بإبراهيم فغُطي وجهه بقطيفة حتى مات، وقيل بل أدخل رأسه في جراب نورة حتى مات..."[2].

• أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي (54هـ/674م – 10 صفر 99هـ/22 سبتمبر 717م) الخليفة الأموي السابع.

• اتخذها علي بن عبد الله بن العباس مكانًا له ولأبنائه بعلم وموافقة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان؛ ليكون بعيدًا عن الناس. انظر صالح حمارنة، بحوث ودراسات في الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول، دار اليانبيع للنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ص14. انظر أيضًا بحث أسباب خروج الخلفاء العباسيين من بغداد للبحث عن عاصمة أخرى خلال الفترة من سنة 132هـ/749م إلى 334هـ/945م، شادن محمد الوحش، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مجلد 47، عدد 4، 2020م.

•• كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى وقصبتا عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، عرفت بجودة حنطتها، وفيها قرية الجبارين. وبالبلقاء مدينة الشراة وشراة الشام، وبها الكهف والرقيم، والبلق سواد وبياض مختلطان. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص489. وللمزيد انظر: صالح حمارنة، بحوث ودراسات في الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول، ص5. انظر أيضًا بحث أسباب خروج الخلفاء العباسيين من بغداد للبحث عن عاصمة أخرى خلال الفترة من سنة 132هـ/749م إلى 334هـ/945م، شادن محمد الوحش، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مجلد 47، عدد 4، 2020م.

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، 1965م، ص338–339.

[2] اليعقوبي، تاريخ، م2، ص342. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص422.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

ورغم أن الروايات تشير إلى أن أبا العباس تحمل مسؤولية إتمام أمر الدعوة عن إبراهيم الإمام• الذي قتل في سجون الأمويين وأن الدعوة من أساسها لم يخطط لها، ولم يكن على علم بمخططات الإمام، ولم يتعامل معها خلال الفترة السرية التي بدأت في الحميمة، إلا أنه تحمل مسؤولية قيادتها في العلن أي في العراق بعد أن أوكل إليه الإمام قيادة البيت العباسي، وأطلعه في وصية خاصة على أمر الدعوة، وحمله مسؤولية اتمام ما بدأه. يقول المسعودي: "فلما قضى إبراهيم نحبه سارع (سابق)• في السير حتى أتى الحميمة، فدفع الوصية إلى أبي العباس ونعاه إليه، فأمره أبو العباس بستر الوصية وأن ينعاه. ودفع الوصية بجميع ذلك إلى سابق الخوارزمي مولاه، وأمره إن حدث به حدث من مروان في ليل أو نهار أن يجد السير إلى الحميمة حتى يدفع وصيته إلى أخيه أبي العباس. فلما أوصى له ابراهيم بن محمد أظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء، ورسم له بذلك رسمًا أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه"[1].

مما يعني أن أبا العباس كان رهين لحظة موت الإمام، وأن قيادته للبيت العباسي كان مهمة أوكلها له الإمام وكان بإمكانه أن يتراجع عن توليه لها في أي لحظة وجد نفسه فيها غير قادر على تحمل نتائج تلك الحركة. ونص الوصية التي أرسلها مع سابق هو:

"بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله يا أخي بحفظ الإيمان، وتولاك بالخير والإحسان، كتابي إليك من حرّان، وأنا على شرف الأمر الذي لا بدّ منه، فإذا كان ذلك، فأنت الإمام الذي تقيم أمرنا وترعى حرمة أوليائنا ودعاتنا، ويتمم الله به وعلى يديه ما أثلت وأُثل لنا. فعليك يا أخي بتقوى الله وطاعته في قولك وفعلك وإصلاح نيتك ليصلح لك عملك، واستوصِ بأهل دعوتنا وشيعتنا خيرًا واحفظ عبد الرحمن أميننا والساعي في أمورنا، وعرّف أهل خراسان ما توجبه له بإيثاره طاعتنا، ولا يكون لك ولأهلك رأي إلا الشخوص عن الحميمة إلى أوليائنا وأنصارنا من أهل الكوفة مخفين لأشخاصكم، مستترين ممن تخافون غيلته لكم وسعيه بكم، وأنا أستودعك الله خاصة، ومن قبلكم من أهلنا عامة، وأسأله لكم الكفاية، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"[2].

وفي رواية أخرى لما قُتل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه، فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم، وكان أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وإلى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن

• هو أول من نادى بالدعوة العباسية في الحميمة وعندما سجنه الأمويون وأدرك قرب موته دفع برسالة لأخيه أبي العباس السفاح بقيادة الدعوة العلنية والسير به وبأهل بيته إلى الكوفة حيث تم إنهاء الخلافة الأموية وبدأ أمر الخلافة العباسية. انظر بحث أول خلفاء بني العباس (أبي العباس السفاح) حياته وتأثيره في وصوله للخلافة، شادن الوحش وآخرون، حوليات عين شمس، العدد الرابع، المجلد 46، 2018م.

• سابق الخوارزمي مولى الإمام.

[1] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص234-235.

[2] مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري)، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده (عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة)، بغداد، تحقيق د. عبد العزيز الدوري ود. عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة بيروت، ص402-403.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

علي بن أبي طالب• رضي الله عنهم أجمعين، يدعو كل واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويجتهد في بيعة اهل خراسان له، وقال للرسول: "العجل العجل، فلا تكونن كوافد عاد"[1].

ولعل ذلك يجيز التساؤل حول كون أن الانسان هل يكون قائدًا بالمولد أم أن الظروف السياسية هي التي تفرز القادة. فرغم أن المنصور أكبر من السفاح إلا أن إبراهيم بن محمد الإمام أوكل له أمر تولي الدعوة[2].

ورغم أن أبا العباس أثار بعض القضايا في فكر المؤرخين إلا أن هذا الجانب من شخصيته لم يدرس. يقول علي عبد الرزاق: "أفهل غير حب الخلافة والغيرة عليها، ووفرة القوة... صار أبو العباس سفاحًا، وما كانت إلا دماء المسلمين، وما كان بنو أمية إلا من قومه"[3].

ورغم اختلافي معه في تفسير لقب السفاح إلا أنه أصاب بكون (بنو أمية من قومه) ليس فقط لكونهم قرشيين بل أن أبا العباس السفاح كانت تربطه علاقات نسبٍ قوية بالدولة الأموية من خلال أمه ريطة وزوجته أم سلمة. فمثلًا أخوه من أمه هو عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[4] أحد أمراء الدولة الأموية وكانت أمه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة[5]. ولعل ذلك من الأسباب التي قد تدفعه لرفض المهمة التي أوكلها له الإمام.

فرغم ادعاء بعض بأن ابو العباس كان سفاحًا خاصة مع أفراد البيت الأموي وأتباعهم إلا أن بعض الروايات تخالف ذلك ومن ذلك ما ذكره أبو الخطاب عن أبي جعدة بن هبيرة المخزومي•.

وأبو العباس لم يكن عدوًّا للأمويين على منحى شخصي وأنه لولا الخلافة لما كان عدوًّا لهم بل إنه لم يرفض كل موالي الدولة الأموية ولم يكن طائشًا في التعامل مع خصومه، بل على العكس لقد استفاد من تجارب الخلفاء الأمويين من خلال ندمائهم كابن هبيرة[6].

• أبو محمد تابعي من أهل المدينة، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، ولما ظهر العباسيون جاء مع جماعة من الطالبيين على السفاح، وهو بالأنبار، فأعطاه ألف ألف درهم وعاد إلى المدينة، ثم حبسه المنصور عدة سنوات من أجل ابنيه محمد وإبراهيم، ونقله إلى الكوفة فمات سجينًا فيها سنة 145هـ (مقاتل الطالبيين، ص128).

[1] مؤلف مجهول، أخبار العباس وولده، ص391.

[2] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص238.

[3] علي عبد الرّزاق، الإسلام وأصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام، ط2، 1344هـ/1925م، مطبعة مصر، ص29.

[4] ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص104.

[5] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص234.

• أبو جعدة بن هبيرة من ولد جعدة بن هبيرة المخزومي من أخته أم هانئ بنت أبي طالب، وعلي وجعفر وعقيل أخواله أحد المقربين من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين والذي أصبح من أهم المقربين والجلساء لأبي العباس السفاح، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص241.

[6] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص240-241.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

فنسبه مع الأمويين لم يمنعه من تولي الخلافة وإزاحتهم عنها، وفي الوقت ذاته لم يمنعه من قبول بعض أتباعهم، فاستطاع أن يقف في منطقة متوسطة بين ذاك وذاك.

وقد يكون ذلك نوعًا من الخداع كما أظهرت وجهة نظر ابن طباطبا الذي يقدم إيجازًا لذلك الحال إذ قال: "لما قدر الله انتقال المُلك إلى بني العباس هيأ جميع الأسباب فكان إبراهيم الإمام بالحجاز أو بالشام جالسًا على مُصلاه مشغولًا بنفسه وعبادته ومصالح عياله، ليس عنده من الدنيا طائل، وأهل خراسان يقاتلون عنه ويبذلون نفوسهم وأموالهم دونه، وأكثرهم لا يعرفه ولا يفرق بين اسمه وشخصه. وانظر إلى إبراهيم الإمام، هو بتلك الحالة من الانقطاع بداره واعتزال الدنيا وهو بالحجاز أو بالشام وله مثل هذا العسكر العظيم في خراسان يبذلون نفوسهم دونه، لا ينفق عليهم مالًا، ولا يعطي أحدهم دابةً ولا سلاحًا، بل هم يجبون إليه الأموال ويحملون إليه الخراج في كل سنة"[1].

إن استعداد الدعاة وبذلهم وجاهزيتهم جعلت أبا العباس ملتزمًا بوصية الإمام رغم كل الظروف التي تهيأت له لرفض تلك الوصية وكان من حسن تصرفه أن خرج إلى الكوفة مسرعًا حيث أدرك خطورة بقائه في الحميمة. "لما حبس إبراهيم الإمام بحران، وعلم ألا نجاة له من مروان، أثبت وصيته وجعلها إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد، وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وألا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه إلى الكوفة فإن هذا الأمر صائر إليه لا محالة، وأنه بذلك أتتهم الرواية"[2].

وقد يرى بعض قراء هذا النص أن الخروج من الحميمة كان بسبب وصية الإمام فقط ولكن الرواية التابعة للطبري تشير إلى أن دخول عسكر مروان الحميمة كان مخيفًا مما يدفع أفراد عائلته إلى أخذ الحذر. وأما تتمة الرواية حول "أنه بذلك أتتهم الرواية" فإن الإمام يستخدم صيغة الجمع أي أن آل البيت العباسي يعرفون مخططات الإمام وأن الحديث عن عدم معرفة العباسيين بما فيهم أبو العباس بأمر تلك الدعوة لا أساس له من الصحة. وأما القول: "وأوصاه بالقيام بالدولة" فهذه الدولة لم تكن غريبة على مسامع أبي العباس ولم يتفاجئ بخبرها على عكس رجال الدعوة الذين بذلوا كل جهد لإنجاح الدعوة العباسية من أجل إمامهم لكن موت الإمام وانتقال الأمر لغيره كان مفاجأً لبعضهم، فهل سيكون موقفهم داعمًا لأبي العباس كما كان داعمًا للإمام الذي لم يعرف أغلبهم هويته ومع ذلك بذل لأجله الغالي والنفيس؟

لقد انطوى على خروجه من الحميمة خطورة كبيرة، يقول الطبري: "فخرجوا إلى العراق هُرّابًا"[3].

"وخرج فيمن قل من عمومته وأهله في شفق نهار..."[4].

---

[1] ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص143.

[2] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص234.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص422.

[4] ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، السفر الرابع والعشرون، ص175.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

وتتضح هذه الخطورة بصورة أكبر في قول عيسى بن علي: "في ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة: إن أربعة عشر رجلًا خرجوا من دارهم يطلبون ما طلبنا لعظيمةٌ هممهم، شديدة قلوبهم"[1].

توجه أبو العباس السفاح للكوفة ومع ذلك لم يكن نزوله بالكوفة آمنًا. لقد كان في ذلك مخاطرة كبيرة تتمثل بعدم معرفته لموقف أهل العراق منه وكذلك عدم معرفته لحجم القوة المؤازرة له وقدرتها على تحقيق غاية الإمام، وزاد الأمر صعوبة موقف أبو سلمة• من تغير الإمام[2].

فحين بلغه مقتل الإمام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب، وأخفى أبو سلمة أمر أبي العباس ومن معه، ووكل بهم وكيلا. وقد كان إنزاله للعباسيين منزل بني أود مخاطرة أخرى إذ أنزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني أود (حي من اليمن). ويقول المسعودي: "ولم أر إلى هذا الوقت سنة 132هـ فيما درت من الأرض وتغربت من الممالك رجلًا من أود إلا وجدته –اذا استنبطت ما عنده– ناصبيًّا متوليًا لآل مروان وحزبهم"[3].

وهذه الإضافات عن بني أود من قبل المسعودي تبين أن أبا سلمة قد قرر منذ أن أنزلهم ببيت بني أود أن يقضي عليهم لأن هذا البيت موالٍ للأمويين، وليس من المنطق أن يحافظ أعداء العباسيين عليهم خاصة أن الدولة الأموية لم يتم القضاء عليها في هذا الوقت ولم يكن قد قتل مروان بن محمد بعد.

وقيل إن أبا سلمة إنما أخفى أبا العباس وأهل بيته بها، ودبر أن يصير الأمر إلى بني علي بن أبي طالب، وكتب إلى جعفر بن محمد كتابًا مع رسول له، فأرسل إليه: "لستُ بصاحبكم، فإن صاحبكم بأرض الشراة، فأرسل إلى عبد الله بن الحسن يدعوه إلى ذلك، فقال: أنا شيخ كبير وابني محمد أولى بهذا الأمر، وأرسل إلى جماعة بني أبيه، وقال: بايعوا لابني محمد، فإن هذا كتاب أبي سلمة حفص بن سليمان إليّ. فقال جعفر بن محمد: أيها الشيخ! لا تسفك دم ابنك، فإني أخاف أن يكون المقتول بأحجار الزيت، وأقام أبو سلمة ينتظر انصراف رسله إليه، ومرّ أبو حميد، فلقي غلام أبي العبّاس، فدلّه على موضعه، فأتاه فسلّم عليه بالخلافة، ثم خرج فأخبر أصحابه بموضعه، فمضى معه ستّة، وهم: أبو الجهم بن عطيّة، وموسى بن كعب، وأبو غانم عبد الحميد بن ربعيّ، وسلمة بن محمد، وأبو شراحيل، وعبد الله بن بسّام، وأبو حميد سابعهم سرًّا من أبي سلمة، فسلموا على أبي العبّاس بالخلافة، وألبسه أبو حميد السواد، وأخرجه، فمضى به إلى المسجد الجامع، وبلغ الخبر أبا سلمة، فأتى ركضًا حتى لحقهم، فقال: إني إنّما كنت أدبّر استقامة الأمر وإلا فلا أعمل شيئًا فيه"[4].

---

[1] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص240.

• أحد رجال الدعوة العباسية لم يكن أبو سلمة الخلال في البداية وزيرًا للدولة العباسية بل كان وزيرًا لدعوة هي الدعوة العباسية، وكان لقبه وزير آل محمد ولم يعط اللقب رسميًّا، وكانت صلاحياته تتضارب مع صلاحيات الخليفة أبي العباس، ومع أبي مسلم الخراساني وربما آخرين. انظر بحث أول خلفاء بني العباس (أبي العباس السفاح) حياته وتأثيره في وصوله للخلافة، شادن الوحش وآخرون، حوليات عين شمس، العدد الرابع، المجلد 46، 2018.

[2] البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج4، ص118.

[3] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص235–ص236.

[4] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م2، ص349–350.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

وموقف الدعاة قد يكون له ما يبرره، فقبل ظهور السفاح ذكر أحد رجالات الدولة الأموية الذي ذهب إلى قحطبة أحد قادة الدعوة ليبايع الإمام "... قال له قحطبة بايع. قال الرجل: لمن أبايع؟ قال: للرضا من آل محمد. قال الرجل: هذه بيعة مجهولة لا يصح بها عقد. قال قحطبة: وكيف؟ قال: أرأيت إذا أخذ أهل كل بلدٍ رجلًا من آل محمد وقالوا: الرضا في أيدينا لمن تكون بيعتي منهم؟ فزجره وقال: بايع. فقال الرجل: ما كنت لأبايع إلا لمن أعرف اسمه. فاستشرف الجند هذا القول، فخاف قحطبة على نفسه وأن تفسد قلوب الجند، فقال قحطبة: بايع لإبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب..."[1].

موقف أبو سلمة هذا من أكثر المواقف خطورة في العراق، إذ إن الإمام إبراهيم قد أوكل لأبي العباس أمر العراق كله، كما أنه صاحب نفوذ كبير فيه، وقد عدّ أبو سلمة أن موت الإمام يعطيه الحق باختيار خليفته، وأن وصية الإمام ليست ملزمة له؛ فكيف بويع أبو العباس بالخلافة؟

البيعة للخليفة عبد الله بن محمد بن علي السفاح

لم يتمكن السفاح من الإعلان عن نفسه عندما وصل إلى الكوفة مباشرة، وقد يكون ذلك بسبب موقف أبو سلمة منه. وتشير الرواية إلى لقاء سابق الخوارزمي بأبي حميد الطوسي أحد قادة الدعوة العباسية في الكوفة وإعلامه بوجود السفاح وذهابه إلى بيت ابن أود لمبايعته في اليوم الثاني، والتي تشير إلى مصادفة في ذلك اللقاء إلا أن المصادفات في هذه المرحلة الخطيرة من وجود أبي العباس والعباسيين في الكوفة قد لا تكون منطقية. وأعتقد أن تحرك سابق للقاء دعاة الإمام قد يكون بإيعاز من أبي العباس نفسه، بعدما شعر بعدم قبول أبي سلمة له.

أما الرواية التي تشير إلى أبي حميد تقول: "دخل أبو حميد الطوسي ذات يوم من العسكر إلى الكوفة فلقي سابقًا الخوارزمي في سوق الكناسة فقال له: سابق؟ قال: سابق. فسأله عن إبراهيم الإمام، فقال قتله مروان في الحبس، وكان مروان يومئذ بحران. فقال أبو حميد: فإلى من الوصية؟ قال: إلى أخيه أبي العباس. قال: وأين هو؟ قال: معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته. قال: مذ متى هم هنا؟ قال: من شهرين. قال: فتمضي بنا إليهم. قال: غدًا بيني وبينك الموعد في هذا الموضع. وأراد سابق أن يستأذن أبا العباس في ذلك... فعندما انصرف إلى أبي العباس فأخبره، فلامه إذ لم يأت به معه إليهم. ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قواعد خراسان في عساكر أبي سلمة بذلك، منهم أبو الجهم وموسى بن كعب، وكان زعيمهم. وغدا سابق إلى الموضع، فلقي أبا حميد، فمضيا حتى دخلا على أبي العباس ومن معه، فقال: أيكم الإمام؟ فأشار داود بن علي إلى أبي العباس، وقال: هذا خليفتكم. فأكب على أطرافه يقبلها، وسلم عليه بالخلافة، وأبو سلمة لا يعلم بذلك، وأتاه وجوه القواد فبايعوه، وعلم أبو سلمة بذلك فبايعه، ودخلوا إلى الكوفة في أحسن زي، وضربوا له مصافًا، وقدمت الخيول..."[2].

"ولما غلب أبو مسلم على خُراسان واستولى على كورها وقويت شوكته سار إلى العراق بالجنود... وكان لهم بها شيعة..."[3].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص234–ص235.

[2] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص238. واليعقوبي، تاريخ، م2، ص345. والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص424.

[3] البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج4، ص117.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

قال: "وذكروا أن أبا مسلم لما بلغه أن أبا سلمة قد أظهر أمره بالكوفة، ودعا إلى محمد، وجه رجلًا من قوّاده إلى الكوفة في ألفي فارس، وأمره أن يسرع السير حتى يأتيها، فأقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة، فلقي غلامًا أسود لأبي العباس، فقال له: أين مولاك؟ قال: هو في دار هاهنا. قال: دلني عليه، فدله على الدار، فاستفتح الباب، ثم دخل عليه، فسلم عليه بالخلافة..."[1].

وقيل إن صاحب الإعلان عن وجود أبي العباس بالكوفة هو أبو مسلم "أخلى أبو سلمة الخلال للعباسيين دارًا بالكوفة، وأمر لهم بها وتولى خدمتهم بنفسه، وكتم أمرهم، واجتمعت الشيعة إليه، وقويت شوكتهم. فوصل أبو مسلم بالجنود من خراسان إلى الكوفة. فدخل على بني العباس وقال أيكم ابن الحارثية؟ فقال له المنصور: هذا – وأشار إلى السفاح وكانت أُمه حارثية– فسلم أبو مسلم عليه بالخلافة بين يديه إلى الجامع، فصلى وصعد المنبر وأظهر الدعوة وخطب الناس وبويع بالخلافة. وذلك في سنة مائة واثنتين وثلاثين، وهذا أول دولة بني العباس وآخر دولة بني أمية"[2]. فكانت تلك البيعة الخاصة.

وبدأ قادة الدعوة يبايعون السفاح "ففي المحرم من سنة 132هـ، وثب أبو مسلم صاحب الدعوة على ابن الكرماني فقتله بنيسابور وجلس في دَست المُلك وبويع وصلى وخطب للسفاح، وصفت له خراسان"[3].

أما البيعة العامة فكانت بأن: "ركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الإمارة، وذلك يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومئة"[4]. وقيل بويع أبو العباس يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل: يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة 132هـ، ومن شهور العجم في تشرين الآخر[5]. "بويع السفاح في ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومئة وأتاه أبو سلمة فبايعه وحمله حتى صلى بالناس الجمعة في مسجد الكوفة الأعظم"[6]. وقيل "كان قدوم أبي العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس"[7]. "ثم عسكر السفاح ظاهر الكوفة ووفد عليه الناس من الأمصار يبايعونه، فلما اجتمع عنده الناس وقويت شوكته، ندب رجُلًا من أقاربه لقتال مروان الحمار، فانتدب لذلك عمه عبد الله بن علي وكان من رجال بني العباس..."[8].

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، ج1، ص162.

[2] اليعقوبي، تاريخ، م2، ص343. وابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص144. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م32، ص297.

[3] فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل (الثورة الدولة المعارضة)، ج1، مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2003م، ص65.

[4] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م2، ص238. واليعقوبي، تاريخ، م2، ص345.

[5] اليعقوبي (292هـ)، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، م2، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1960م، م2، ص349.

[6] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (213–276هـ/828–889م)، المعارف، حققه ثروت عكاشة، ط2، 1969م، دار المعارف، مصر، ص372.

[7] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص236.

[8] ابن طباطبا، الفخري، ص144.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

وهذا الموقف الذي يشار إليه على أنه مصادفة هو الموقف الذي أدى إلى الإعلان عن الخلافة العباسية بقيادة أبي العباس السفاح. وكانت بيعته في الكوفة في دار الوليد بن سعد الأزديّ.

يقول اليعقوبي: "عندما علم أبو سلمة بلقاء أبو حميد وذهابه لبيعة السفاح وإخراجه إلى المسجد مرتديًا السواد، بلغ الخبر أبو سلمة، فأتى راكضًا حتى لحقهم، فقال: إنّي إنّما كنت أدبّر استقامة الأمر وإلا فلا أعمل شيئًا فيه[1]. وكان ذلك تبرير أبي سلمة لموقفه، فقد أسقط في يده، فلو نجح أبو سلمة في ما كان يخطط له لقضى على أحلام العباسيين بالخلافة، وأن تحول الموقف في صالح أبي العباس بعد تحرك سابق الخوارزمي لم يكن في مصلحة موقف أبي سلمة حتى وإن أدرك ذلك بالبيعة للسفاح.

خطبة عبد الله بن علي السفاح

تعد الخطبة من أهم التقاليد التي رُسخت منذ صدر الإسلام كأساس لإعلان الخليفة عن نفسه وعن برنامجه السياسي إن صح التعبير.

وقيل في خطبة السفاح "وسار حتى أتى الكوفة ثم دخل المسجد الجامع من دار الإمارة[2]. وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة فخطب على المنبر قائمًا، وكانت بنو أمية تخطب قعودًا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]. وكان أول ما فعله السفاح فامتثله الناس أنه خطب على المنبر قائمًا، وكانت بنو أمية تخطب قعودًا، فناداه الناس: يا ابن عم رسول الله أحييت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]. فحمد الله وأثنى عليه، وذكر تعظيم الرب ومننه، وفضل النبي صلى الله عليه وسلم، وقاد الولاية والوراثة حتى انتهت إليه، ووعد الناس خيرًا، ثم نزل"[5].

أما تفاصيل خطبة السفاح فهي أنه صلى بالناس الجمعة، وقال في الخطبة: "الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوّام به الذّابين عنه، والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته... فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن {إنما يريد لِيُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}[6]. وزعمت السبئية الضلال، أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاعت وجوههم... إلى أن قال: فلما قبض الله نبيه قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب ومروان فجاروا واستأثروا، فأملى الله لهم حينًا حتى آسفوه، فانتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقنا ليمنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، ومنزل مودتنا، لم تفتروا عن ذلك، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور،

---

[1] اليعقوبي، تاريخ، م2، ص350.

[2] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص238.

[3] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م2، ص350–351. والمسعودي، مروج الذهب، م2، ص234. وابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع والعشرون، ص175.

[4] اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص22.

[5] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص238.

[6] سورة الأحزاب 33.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدت في أعطاياتكم مئة مئة؛ فاستعدوا فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير"[1].

لقد حاول كسب الناس بالأعطيات في خطبته وهو لم يكن يملك المال بعد كما حاول استمالة خصومه بالمال[2].

ويتوقف في خطبته عند قوله "الثائر المبير" ليقطعها قول الرواة "فارتج عليه" وخطب داود بن علي نيابة عنه[3]، بسبب ذلك بينما يقول الطبري: "وكان موعوكًا فاشتد به الوعك، فجلس على المنبر وصعد داود بن علي فقام دونه على مراقي المنبر"[4].

إن استخدام مصطلح (فارتج عليه) في وصف أبي العباس لم يكن دقيقًا لأن خطبة أبي العباس رغم قصرها إلا أنها بليغة، ووافيه، ومحددة، إذ أنه حمد الله ووصف الإسلام وبين دور آل البيت في حمايته معتمدًا على آيات القرآن، وأنه جاء لينقذ الناس من ظلم بني مروان، ومنح الأعطيات، ولم يكن حديثه عن الإعطيات عبثيًّا، إذ منح العطاء لكسب بيعة الناس وقال: "أنا السفاح المبيح" وكان عطاءه مصحوبًا بتهديد فإن أبوا البيعة له كان (الثائر المبير) فإن بايعوا أُعطوا وإن ثاروا عليه ثار عليهم، لقد حسب السفاح حساب الثورة ضده في الكوفة وكان ذلك واضحًا في خطبته.

وهذه الخطبة البليغة القوية في رسائلها تبين أنه ما من حاجة لأن ينوب أحدٌ عن الخليفة في خطبته وحديثه للناس فكان استخدام مصطلح (ارتج عليه) مبررًا لصعود داود بن عليّ ليخطب في الناس ولا أظن أن تلك الخطبة المستوفية المعاني بحاجة إلى من يتمها.

"وارتج عليه فخطب عمه داود وهو واقف دونه بدرجة خطبة بليغة اقتضبها بديهًا"[5]. "وكان حييًّا، فارتج عليه، فأقام مليًّا لا يتكلّم، فصعد داود بن عليّ، فقام دونه بمرقاة..."[6].

يقول البلاذري: "حدثني المدائني عن اسحاق بن عيسى بن علي قال: ولم يكن منّا من يرتجل الكلام ويبلغ حاجته في الخطب إلا المنصور، وداود بن علي، فلما رقي داود منبر الكوفة، حين ظهر أبو العباس بالكوفة وقام دونه على المنبر ليخطب، خفنا أن يتكلم بحلاوة لسانه وتصاريف لفظه ولطف حيلته فيدعو إلى نفسه، وليس بوقتِ خلافٍ فتكلم في بيعة أبي العباس وبلغ له ما كنا نريد"[7].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص425-426. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص239-240.

[2] البلاذري، أنساب، ج3، ص309.

[3] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م2، ص350-351. وابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، السفر الرابع والعشرون، ص175.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص426.

[5] ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع والعشرون، ص175.

[6] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م2، ص350-351.

[7] البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج4، ص117-118.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

ورغم مدح اسحاق داود بن علي والمنصور إلا أنه أشار إلى مخاوف آل البيت العباسي من داود بن علي وقيامه لكي يخطب وأنه كان من المحتمل أن يثير خلافًا بأن يدعو إلى نفسه مثلًا.

وخطبة داود بن علي رغم ما فيها من السجع والقول البليغ إلا أنها لم تضف الكثير إلى ما يجب أن يقال، وكانت أهم نقطتين في خطبته أولًا أنه أشار إلى العباس وإلى علي بن أبي طالب، وهي نقطة إما أن يكون غفل عنها أبو العباس السفاح، وإما أنه أراد أن يكون صادقًا أمام الجموع، فهو الآن بصدد الإعلان عن هوية الدعوة لا بصدد جمع المؤيدين والدعاة لها، وكان الحديث عن علويتها سابقًا بهدف كسب القلوب وجمع الثوار حولهم. أما الآن فإن خطاب الخليفة ملزِمٌ له أمام الناس فكل كلمة هو مُلزمٌ بها عند البيعة، فطالما صعد المنبر وأيدته جموع العسكر فهو لم يعد بحاجة إلى ذلك الشعار.

أما داود بن علي كان يعلم أن الميول في الكوفة علوية وأن أهل الكوفة كانوا بحاجة إلى من يؤكد أن الثورة لآل البيت العلوي، وهذا ما أشار له داود بن علي، ولم يؤكد عليه السفاح فقال داود بن علي:

"فلما بويع أبو العباس صعد المنبر في اليوم الذي بويع فيه، وكان حييًّا، فارتج عليه، فأقام مليًّا لا يتكلّم، فصعد داود بن عليّ، فقام دونه بمرقاة، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد، وقال: أيها الناس! الآن تقشّعت حنادس الفتنة، وانكشف غطاء الدنيا، ورجع الحقّ إلى نصابه في أهل بيت نبيّكم، أهل الرأفة بكم، والرحمة لكم، والتعطّف عليكم، ألا وإن ذمة الله وذمة العباس لكم أن نسير، فنحكم في الخاصّة والعامّة منكم بكتاب الله وسنّة رسوله، وإنه والله أيها الناس! ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحدٌ أولى به من عليّ بن أبي طالب، وهذا القائم خلفي، فاقبلوا عباد الله، ما آتاكم بشكر واحمدوه على ما فتح لكم، أبدلكم بمروان عدو الرحمن، حليف الشيطان، بالفتى المتمهل الشاب المتكهل، المتبع لسلفه والخلف من أئمته وآبائه، الذين هدى الله... ثم نزل فتكلّم أبو العباس..."[1]. فتكلم عمه داود بن علي وهو على المنبر دون أبي العباس، فقال: "إنه والله ما كان بينكم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم خليفة إلا علي عليه السلام وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي، ثم نزلا"[2]. وفي هذه الرواية إشارة أخرى إلى أن خطبة داود بن علي سبقت خطبة السفاح، وأرى أن خطبة داود بن علي كانت تالية لخطبة السفاح لا سابقة له لأنه دعا الناس إلى البدء في أخذ البيعة.

أكد أبو العباس على تقديم تبرير شرعي لقاعدة الوراثة في الحكم بقوله: "لقد خصنا الله برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبتنا من شجرته. وأنزل ذلك كتابًا فقال فيه: {قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}" قاصدًا بذلك إلى أن الله فرض على المسلمين أن يرث رسوله أقرباؤه فتبنوا الوراثة في الحكم[3].

وقد استنتج بعض المؤرخين من خطبة السفاح وعمه ما يلي:

يؤكد أبو العباس في خطبته أنه يستند إلى الدين في الحكم في بيعة أبي العباس قوله: "لكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس، أن نحكم فيكم بكتاب الله ونسير فيكم بسنة رسوله". كما أكد على تقديم تبرير شرعي لقاعدة

---

[1] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م2، ص350–351. وأحمد أمين، ضحى الاسلام، ج3، ص283.

[2] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص238.

[3] حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، د. هاشم يحيى الملاح، كلية الآداب، جامعة الموصل (الخلافة)، بغداد، 1948م، ج6، ص16.

الوراثة في الحكم بقوله: "لقد خصنا الله برحم رسوله صلى الله عليه وسلم وأنبتنا من شجرته... وأنزل بذلك كتابًا فقال فيه: {قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى}" قاصدًا بذلك إلى أن الله فرض على المسلمين أن يرث رسوله أقرباؤه[1].

ويقول فاروق فوزي: "أظهرت خطبتي العباس وعمه داود بن علي الآتي: أن الثورة العباسية قامت من أجل الإسلام الذي فشل الأمويون في تطبيق مبادئه على حد قول أبي العباس. وأن للعباسيين الحق بالخلافة لأنهم أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم. وأن الثورة العباسية تعني المظلومين والمستضعفين من الناس. وتعني الثورة انتصار العراق على الشام بعد الكفاح المرير الذي خاضته العراق خلال العصر الأموي بثورات عدة كثورة الحسين والمختار. ووعد الخليفة بزيادة العطاء إلى 100 درهم وذكرهم بأنه السفاح المبيح أي الكريم المعطاء، ولكنه حذرهم من أي حركة بقوله بأنه الثائر المبير. وبيّنَ موضع العباسيين من الإسلام وأهله. وفند رأي السبئية (يعني بهم هنا شيعة العلويين) في قولهم بأن الخلافة من آل علي. وندد بسياسة الأمويين وظلمهم"[2].

وأرى أن قطع داود بن علي الخطبة على العباس يدل على أن كل أفراد البيت العباسي لهم سيادة ورأي مسموع، ورغم أن الاحترام لعمومته كان مقدمًا على مكانته كخليفة فقد احتوى داود بن علي بأن قدمه في الخطبة لا لأنه لم يكن يحسن الخطاب بل لتفريغ كل رغبته في الخلافة في تلك الخطبة فكان الذكاء في أبي العباس الذي علم منذ اللحظة الأولى رغبة داود بن علي بالخلافة الذي ثار لأجل الخلافة بعدما علم بولاية العهد للمنصور، وقد نجح أبو العباس في تحقيق نقاط القبول التي كان يرغب بها المعارضون للدولة الأموية ويأملون إيجاده في الدولة الجديدة خاصة أنه خطب قائمًا. لقد تصرف السفاح بطريقة نجح معها في كسب الرأي العام في حال أن وضعه الناس في مقارنة مع الأمويين، وكأنه هيأ نفسه لاستلام الخلافة أو كان معدًا لها منذ زمن، أي أنه ولد خليفة للمسلمين.

كما أن اختيار الكوفة كعاصمة للعباسيين لم يكن عبثيًا فحسب ما يظهر في خطبة السفاح وقول عمه داود بن علي هي اتباع لنهج علي بن أبي طالب، الذي نقل عاصمة الخلافة من المدينة المنورة في عهد الراشدين إلى الكوفة، وهذا يؤكد أن كل من شعر بأن هذه الدعوة علوية وليست عباسية كان ذلك بسبب طريقة وأسلوب الدعاة وأفراد البيت العباسي وطريقة خطابهم.

دور السفاح في تثبيت الخلافة له

تظهر الروايات أن أبا العباس لم يعتمد على دعاة إبراهيم الإمام في وصوله للكوفة وتوليه الخلافة، فهو منذ أن خرج من الحميمة إلى الكوفة عمل على جمع أفراد البيت العباسي حوله.

"وكان من قدم إلى الكوفة معه من بني هاشم اثنين وعشرين رجلًا[3]. فلما توجه أبو العباس إلى الكوفة مسرعًا، وهؤلاء معه في غيرهم ممن خف من أهل بيته، فلقيتهم أعرابية على بعض مياه العرب في طريقهم إلى

[1] حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، ج6، ص16-17.

[2] فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، ص63-64.

[3] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م2، ص350.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

الكوفة، وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي فيمن كان معهم إلى الماء... فلما انتهى إلى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود، وهما منصرفان من العراق إلى الحميمة من أرض الشراة، فسأله داود عن مسيره، فأخبره بسببه، وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم، وأنه يريد الوثوب بالكوفة. فقال له داود: يا أبا العباس، تثبت بالكوفة ومروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق، وابن هبيرة شيخ العرب في جلة العرب بالعراق؟ فقال أبو العباس: يا عماه، من أحب الحياة ذل. وتمثل بقول الأعشى:

فما ميتة إن متها غير عاجز بعار، إذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود إلى ابنه موسى، فقال: أي بني، صدق ابن عمك، ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراما. فعطفا ركابهما معه، وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة"[1]. وهذه الرواية تبين أن العباس لم يكن يخشى الإعلان عن نفسه وهو على مشارف الكوفة، وقد صدقه داود تحديد الوضع العسكري، وأنه كان بالفعل محاصرًا بين ابن هبيرة في العراق ومروان بن محمد بالشام.

هذه فيما يتعلق بعمومته، لكنه أيضًا نجح في كسب الأخوال من بني الحارث، فهم من اعتمد عليهم في تولي بعض الولايات البعيدة عنه. فولى "زياد بن عبيد الله الحارثي، وهو خال الخليفة أبي العباس السفاح. وقد ولاه أبو العباس على المدينة ومكة والطائف واليمامة عقب موت داود بن علي أميرها، كما ولى ابن عمه محمد بن يزيد بن عبد الله الحارثي على اليمن. وبذلك اجتمعت جزيرة العرب لأخوال الخليفة من الحارثيين... وقد قاتل المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة، وبذلك استطاع أن يشارك مشاركة ما في إرساء أركان الدولة الجديدة وتثبيتها. وبقي في الولاية من سنة 133–141هـ فعزل عنها وقد عزله أبو جعفر المنصور بسبب من فتنة محمد وإبراهيم بن عبيد الله بن حسن"[2].

والقصد من ذلك أن أبا العباس استعان بالأخوال والأعمام لدعمه في مبتغاه وأنه لم يعتمد مواقف القادة والدعاة التابعين لإبراهيم الإمام الذين انقلب بعضهم عليه فيما بعد وفي رواية سابقة ذكرها المسعودي.

وهذا أمر انتهجه أبو العباس في التعامل مع أعداء الدولة وحتى أتباعه ممن غير طاعته بعد كشف قناع الدعوة العباسية التي لم تكن علوية، فبعد أن تسلم أبو العباس زمام الأمور "بدأ بإقصاء أتباعه والموالين له"[3].

كما أنه لم يتوجه لقتال مروان إلا بعدما أمن مكانه في الكوفة "فعندما اجتمع عنده الناس وقويت شوكته، ندب رجُلًا من أقاربه لقتال مروان الحمار، فانتدب لذلك عمه عبد الله بن علي وكان من رجال بني العباس..."[4].

---

[1] الطبري، تاريخ، ج7، ص428. والمسعودي، مروج الذهب، م2، ص235.

[2] الجاحظ، البخلاء، ط8، دار المعارف، المحقق طه الحاجري، ص378–379.

[3] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص240.

[4] ابن طباطبا، الفخري، ص144.

وذكروا أن أبا العباس ولى عمه عبد الله بن عليّ، الذي يقال له السفاح الشام وأمره أن يسكن فلسطين، وأن يجد السير نحوها...[1] فقتل مروان بن محمد.

وكان رد فعل السفاح عند وصول رأس مروان إليه أنه ثأر منه وظفر، وأن قتل مروان كان شرعيا، فقد ثأر للإمام بقوله: "الحمدُ لله الذي أظهرني عليك، وأظفرني بك، ولم يبق ثأري قبلك"[2].

وبإسقاط الخليفة الأموي مروان بن محمد وقتله لم يعد في المشرق خليفة ينافس أبا العباس السفاح المعلن عنه كخليفة والذي أخذ البيعة من كل مناطق العالم الإسلامي إما طوعًا وإما كرهًا. فأعاد ترتيب إدارة العراق والولايات وأرسى دعائم الدولة، وكانت أهم القضايا التي شغلت وقته مسألة ولاية العهد.

ولاية العهد

عندما يتعلق الأمر بولاية العهد، نجد أن الخلفاء يتخلون عن وعودهم لقادة خدموهم، ويفضلون أن تكون ولاية العهد في أبناءهم، وأن لا تخرج عن ذلك.

ولقد استشار أبو العباس في مسألة ولاية العهد خاصة أنه وعد من يأتي برأس مروان بولاية عهده وكان ذلك لعمه عبد الله بن علي. وذكر أبو الخطاب عن أبي جعدة بن هبيرة المخزومي –وكان أحد وزراء مروان وسماره وقد كان لما ظهر أمر أبي العباس انضاف إلى جملته وصار في عداد أصحابه وخواصه– قال ابن هبيرة: "...وضرب الدهر ضرباته، فبينما أنا ذات يوم عند أبي العباس بعد حين وقد تزايدت حالي عنده وأحظاني، فنهض الناس ونهضت، فقال لي أبو العباس: على رسلك يا ابن هبيرة، اجلس، فجلست. ونهض ليدخل فقمت لقيامه، فقال اجلس. فرفع الستر ودخل، وثبت في مجلسي، فأقام مليًّا ثم رفع الستر فخرج من ثوبي وشي رداء وجبة، فما رأيت أحسن منه ولا مما عليه قط. فلما رفع الستر نهضت، فقال: اجلس، فجلست. فقال: يا ابن هبيرة، إني ذاكر لك أمرًا فلا يخرجن من رأسك إلى أحد من الناس. ثم قال: قد علمت ما جعلنا من هذا الأمر وولاية العهد لمن قتل مروان، وعبد الله عمي هو الذي قتله، لأن ذلك كان بجيشه وأصحابه، وأخي أبو جعفر –مع فضله وعلمه وسنه وايثاره لأمر الله– كيف يسوغ إخراجه عنه؟ قال: فأطال في مديح أبي جعفر. فقلت: أصلح الله أمير المؤمنين، لا أشير عليك، ولكني أحدثك حديثًا تعتبره. فقال: هاته. فقلت: كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية إذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز بنعي سليمان ومصير الأمر إليه، فبعث إلي، فدخلت عليه، فرمى بالكتاب إلي فقرأته، ثم اندفع يبكي، فقلت: أصلح الله الأمير! لا تبك على أخيك، ولكن ابك على خروج الأمر من ولد أبيك إلى ولد عمك. فبكى حتى اخضلت لحيته. قال: فلما فرغت من حديثي قال لي أبو العباس: حسبك قد فهمت عنك. ثم قال: اذا شئت فانهض..."[3].

تعد هذه النصيحة وما يشابهها من الأمور التي دفعت الخليفة إلى التفكير في مسألة ولاية العهد، وأنه ورغم منحه وعدًا لقاتل مروان بالخلافة إلا أن مصلحة عائلته تقتضي الحفاظ على الخلافة في بيته لا في بيوت

[1] فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، ج1، ص64.

[2] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص239. وابن طباطبا، الفخري، ص146.

[3] المسعودي، مروج الذهب، م2، ص240–241.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

أعمامه، فإن أعطى أعمامه دورًا كبيرًا في بداية عهده فهذا لم يكن إلا لمصلحته لأنهم هم من قاموا بتثبيت الخلافة له وقتال أعدائه.

ويقول اليعقوبي: "يقال أن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن علي: خذ بثأرك من بني أمية، ففعل بهم ما فعل (قتل ثمانين رجلًا من رجالات الدولة الأموية عند نهر أبي فطرس في فلسطين)"[1]، ولكنه بعد ذلك تخلى عن تصرفات عبد الله بن علي، بل أصبح مهاجمًا منتقدًا له. فهل هذه الرواية تحاول أن تظهر أن أبا العباس أراد أن يُوقع به ويدفعه إلى القتل ليظهر أمام الناس على أنه متسرع يندفع إلى القتل بلا توازن وكان ذلك التصرف فرصة لإزاحة الشخص الذي كان يقتل بلا سبب وبلا هدف إلا لأجل المال؟

إذ اتخذ أبو العباس السفاح من سلوكيات عبد الله بن علي مبررًا لتنحيته عن ولاية العهد. "فركب السفاح عبد الله بن علي إلى أموال عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وكان عبد الواحد اتخذ أموالًا معجبة، تطرد فيها المياه والعيون، فأمره السفاح أن يصيرها إليه، فأبى عليه، واختفى منه، فأخذ رجالًا من أهله فتواعدهم السفاح، وأمر بحبسهم حتى دلوه عليه. فلما قبضه أمر بقتله، ثم استقصى ماله، فبلغ ذلك أبا العباس أمير المؤمنين، وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك، وكان عبد الواحد أفضل قشي في زمانه عبادة وفضلًا. فقال أبو العباس: رحم الله عبد الواحد، ما كان والله ممن يقتل لغائلة، ولا ممن يشار إليه بفاحشة، وما قتلته إلا أمواله، ولولا أن السفاح عمي، وذمامة ورعاية حقه علي واجب، لأقدمت منه ولكن الله طالبه، وقد كنت أعرف عبد الواحد بَرًّا تقيًّا صوامًا قوّامًا. ثم كتب إلى عمه السفاح ألا يقتل أحدًا من بني أمية، حتى يعلم به أمير المؤمنين، فكان هذا أول ما نقم أبو العباس على عمه السفاح"[2]. وقد يكون السفاح غضب لعبد الواحد حقًّا لكن ذلك الموقف كان، "فلما أتى الكتاب بالبيعة للسفاح إلى عمه عبد الله بن علي وكان راجعًا في الطريق من عند السفاح فبايع عسكره وقواده لنفسه، وزعم أن السفاح جعل له الأمر، ثم دخل حران وغلبَ على الشام"[3]. وكردة فعل على تغيير ولاية العهد خرج على أبي العباس السفاح.

وكان من البديهي أن يفكر أبو العباس السفاح في ابنه محمد، يقول اليعقوبي: "أن أبا العباس خلف ابن لم يكن بلغ"[4]. ولعل ذلك السبب الذي لم يدفعه في التفكير فيه كولي للعهد ومع ذلك كان محمد بن أمير المؤمنين أبي العباس أحد قادة الجيش العباسي الذي واجه ثورة محمد بن عبد الله من ناحية جهينة[5]. أي أنه كان مؤهلًا عسكريًّا. أما من ناحية السن فلم يكن كذلك.

لذلك تقول الرواية: "إنه لما اشتدت علّته قدم عليه وفدان أحدهما من السند والآخر من إفريقية، فلمّا بلغه قدومهما قال: أنا ميت بعد ثلاث. قال عيسى بن علي: فقلت بل يطيل الله بقائك! فقال: حدثني أخي إبراهيم عن أبي وأبيه عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده: أنّه يقدم علي في مدينتي

---

[1] اليعقوبي، تاريخ، م2، ص356.
[2] فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، ج1، ص64.
[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، م3، ص598.
[4] اليعقوبي، تاريخ، م2، ص362.
[5] البلاذري، أنساب، ج3، ص328.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

هذه في يوم واحد وافدان: أحدهما وافد السند، والآخر وافد أهل إفريقية، فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أُغيب في لحدي، ويورث الأمر بعدي. ثم نهض وقال: لا ترِم مكانك حتى أخرج إليك. قال فلم أزل بمكاني حتى سلّم المؤذنون في وقت صلاة العصر بالخلافة، فخرج إليّ رسوله يأمرني بالصلاة بالناس، فلم يخرج إلى أن سلّم المؤذنون لوقت صلاة العشاء، فخرج إليّ رسوله يأمرني بالصلاة في الناس، ففعلت ذلك، ثم أتيت مكاني إلى إدراك الليل، فلما فرغت من قنوتي خرج إلي، ومعه كتاب معنون: من عبد الله ووليّه إلى آل رسول الله والأولياء وجميع المسلمين، ثم قال: يا عم إذا خرجت نفسي فسَجّني بثوبي واكتم موتي حتى يقرأ هذا الكتاب على الناس، فإذا قرئ فخذ ببيعة المسمى فيه، فإذا بايع الناس فخذ في أمري وجهّزني وصلّ علي وادفني. فقلت: يا أمير المؤمنين! فهل وجدت علة؟ فقال: وأية علة أقوى من الخبر الصحيح عن رسول الله؟ والله ما كُذبتُ ولا كَذبتُ ولا كُذبتَ، خذ هذا الكتاب وامض راشدًا. واعتلَّ من ليلته، وتوفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة 136هـ"[1].

وفي سنة 136هـ حج بالناس أبو جعفر المنصور وأبو مسلم الخراساني. أما أبو مسلم لما أراد القدوم على أبي العباس، كتب يستأذنه في القدوم للحج، فأذن له، وكتب إليه أن أقدم في خمسمئة من الجند، فكتب إليه أبو مسلم: إني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي. فكتب إليه أن أقبل في ألف، فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك، وطريق مكة لا تحتمل الحج..."[2]. لقد قدم أبو العباس السفاح كل التسهيلات لأبي مسلم لكي يحج رغم تردد أبو مسلم الخراساني وحرصه على مرافقة أكبر قدر من العسكر له.

وكان عهده بولاية العهد لأبي جعفر المنصور وقد حجّ أبو جعفر وأبو مسلم، فلما انقضى الموسم وقفلا وردَ الخبر بذات عِرق بموت السفاح، وكان قبل موته بمُدَيْدة قد عقد لأبي جعفر وبعثوا أبا غسان ببيعة أبي جعفر إلى عمه عبد الله بن علي وكان راجعًا في الطريق من عند السفاح فبايع عسكره وقواده لنفسه، وزعم أن السفاح جعل له الأمر، ثم دخل حران وغلبَ على الشام، وقدم أبو جعفر المنصور من الحج فدخل الكوفة بأهلها الجمعة"[3].

ونص كتاب العهد: "من عبد الله أمير المؤمنين إلى الرسول والأولياء وجماعة المسلمين، سلام عليكم. أما بعد، فقد قلد أمير المؤمنين الخلافة عليكم بعد وفاته، يعني أخاه، فاسمعوا له وأطيعوا، وقد قلد الخلافة من بعد، عبد الله عيسى بن موسى..."[4].

---

[1] اليعقوبي، تاريخ، م2، ص361-362، الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، م11، ص241-243. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج32، ص292.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص469.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، م3، ص598.

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، م11، ص244.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

خاتمة

رغم أن السفاح كان خليفة للمسلمين إلا أنه حاول أن يبعد نفسه عن الظهور بصورة بارزة في الكثير من المواقف السياسية التي تعرض لها بعد توليه قيادة الدعوة العباسية من قبل الإمام. ومع ذلك فالمتتبع لخطوات السفاح سيجد أنه كان حاضرًا بقوة في توجيه دفة الدعوة إلى قصر الخلافة في الكوفة، وأن حضوره ذلك كان قويًّا بصورة ملفتة، هذه الصورة الملفتة لم تلفت انتباه أغلب المؤرخين.

فقد تولى قيادة دعوة لم يدعُ لها أصلًا لكنه آمن بأن عليه أن يتبع وصية إبراهيم الإمام، وقد حمل على عاتقه دخول معترك لم يكن يملك أي فكرة عن عناصر القوة والضعف فيه ولا حتى مع من من الأشخاص يتعامل، ولولا مخطط إبراهيم الإمام الذي رسمه له على حد قول المؤرخين الأوائل لما عرف إلى أين سيمضي ومن سيقابل.

ومع ذلك قد يتولى الإنسان أمرًا لم يكن مستعدًا له كأمر الخلافة، إلا أن بعضًا قد يسقط بالاختبار فلا يستطيع إتمام الأمر، وقد ينجح آخرون في ذلك. وقد كان أبو العباس أنجح من تولى أمرًا لم يكن مستعدًّا له على وجه التحديد.

كان عليه أن يتوجه إلى الكوفة تاركًا الحميمة حيث ولد ونشأ وأقام، وهذا أمرٌ فرضه واقع حبس الإمام على العباسيين كلهم وكان عليه أن يتوجه إلى الكوفة بكل مخاطر ذلك الطريق فلم تكن الطريق إلى الكوفة ممهدة له بالصورة التي كان يأملها إلا أن الطريق كانت أسهل عليه من موقف صاحب الكلمة الأولى في العراق أبي سلمة الخلال. وأحسب أن إبراهيم الإمام الذي رسم للسفاح خطته لم يكن يعلم أن قادة دعوته قد يغيرون الولاء له وألا يلتزموا بوصية كتبها للسفاح، فقد كان على ثقة كبيرة بدعاته، وهم كانوا أهلًا لتلك الثقة حقًّا إلا أنهم لم يتوقعوا موته وتغيير شخص قائد الدعوة الذي لم يكونوا على معرفة جيدة بهويته حسب ما تشير الروايات، إلا أن هذه الردود على تغير الإمام تظهر أن بعض الدعاة كانوا على معرفة شخصية بالإمام كأبي سلمة، وكانت الصدمة الأكبر لأغلب القادة أنهم كانوا سيثورون باسم علي لا باسم العباس.

لذلك حارب أبو سلمة أبا العباس منذ اللحظة الأولى لدخوله الكوفة وماطل في الإعلان عن وجوده وأرسل إلى العلويين يدعوهم، إلى تلك الدعوة. ولم يغفل أبو العباس عن موقف أبي سلمة، لذا لم يكن تسوق سابق الخوارزمي بالكوفة عبثيًّا وهو مولى إبراهيم الإمام والمعروف لدى قادة الدعوة. لقد كان ذلك الظهور لسابق بمثابة الإعلان عن وجود السفاح في الكوفة، وكان ذلك لكي يقطع على أبي سلمة ما بدأه، فهو لم يكن مقيمًا لمدة شهرين بالكوفة دون أن يستخدم عقله ودون أن يفكر في إتمام أمر الدعوة، فوصل إلى القادة الذين لم يستطيعوا الوصول لهم، ودفع الدعاة الآخرين إلى مبايعته ودفع أبا سلمة نحو البيعة رغمًا عنه.

وكان الصعود على منبر مسجد الكوفة النقطة التي فصلت بين عهدين أموي وعباسي، وحملت في طياتها المخاطر التي قد تنطوي على عباسية الدعوة لا علويتها أمام جموع كوفية وتأمل في نصرة آل البيت العلوي في أن يكون ذلك الخليفة العلوي المخلّص لهم من ظلم الأمويين، فإما أن يحقق نقاط القبول تلك ويبايعه الكوفيون، وإما أن يقتل على ذلك المنبر.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

وأظهر داود بن علي في ظهوره ليخطب في بيعة السفاح أن العباسيين لم يكونوا جميعًا بل إن قلوبهم شتى. وفي نظري أن خطبته خرجت لتؤكد على أكذوبة علوية الدعوة. والتي لم يرغب العباس في ذكرها صدقًا منه وقال بها داود كسبًا للبيعة.

إذ كانت ولاية العهد بعد بيعته من الكوفيين أكبر مشكلة تعرض لها. فهل يذهب العهد لعمه داود بن علي قاتل مروان كما وعده أو لأخيه المنصور، ولماذا لم يكن العهد لابنه محمد؟ لقد أقصى داود بن علي عن ولاية العهد ولو على حساب دماء الأمويين، ومهد الطريق لأبي جعفر المنصور ولم يكن بباله أن يجعل من ابنه محمد خليفة. لقد نجح في إبعاد منافسي المنصور إلى أن تمكن من أخذ البيعة له فأرسل داود بن علي للشام وأرسل أبا مسلم الخراساني رفيقًا لأبي جعفر المنصور بالحج، فأبعد كل القوى التي قد تؤثر على أخذ البيعة للمنصور في الكوفة فلم يستطع أبو مسلم الخراساني الذي أثر في الكثير من قرارات الدولة العباسية في مرحلة التأسيس، وتصادمت قراراتها مع قرارات العباس في بعض الأحيان أن لا يبايع أبا جعفر المنصور. وقد أرسل كتاب البيعة له وهما في طريق العودة من الحج لتكون بيعته وجهًا لوجه أمام المنصور الذي لم تكن تنقصه القوة لقتل أبي مسلم في حال امتنع عن ذلك فأسقط في يد أبي مسلم وبايع.

إن هذه الصورة الواضحة لسياسة أبي العباس لا تدل إلا على خليفة تمتع بعبقرية سياسية جعلته يتولى الخلافة ويحافظ عليها لأخيه من بعده. ولكل من جاء من بعده من خلفاء الدولة العباسية الذين يدينون لعبقرية أبي العباس السفاح السياسية، ودهائه وحنكته في وصول الخلافة إليهم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني 555–630هـ، الكامل في التاريخ، م5، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
- الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج (ت 356هـ):
  - كتاب الأغاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، م18، دار صادر، بيروت، 2002م.
  - مقاتل الطالبيين، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- البغدادي، الخطيب أحمد بن علي بن ثابت (392–463هـ)، تاريخ مدينة السلام، م11، تحقيق بشار معروف، دار الغرب الإسلامي.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، عدد الأجزاء: 13ج، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1996م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (ت 255هـ)، البخلاء، ط8، دار المعارف، المحقق طه الحاجري.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023

- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.
- الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، (213–276هـ)، الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ/1990م.
- السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ)، تقديم عبد الله مسعود، دار القلم العربي، حلب، تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت.
- ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت 322هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد مايو، مراجعة أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1418هـ/1997م.
- الطبري، محمد بن جرير (223–310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج7، دار المعارف، مصر، 1966م.
- ابن عساكر الدمشقي، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (499–571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، م32، دار الفكر، 1995م.
- ابن فضل الله العمري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، السفر الرابع والعشرون، 2010م.
- ابن قتيبة، ابي محمد عبد الله بن مسلم (213–276هـ)، المعارف، حققه ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط2، 1969م.
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت 346هـ):
  - التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، 1965م.
  - مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، م2، الطبعة الاولى، 2005م.
- مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري)، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده (عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة)، بغداد، تحقيق د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت 292هـ)، تاريخ اليعقوبي، م2، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1960م، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم مِلورد، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان.

المراجع

- أمين، أحمد إبراهيم، ضحى الاسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ج3.
- حمارنة، صالح، بحوث ودراسات في الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2023

- عبد الرزاق، علي، الإسلام وأصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام)، مطبعة مصر، ط2، 1344هـ/1925م.
- فوزي، فاروق عمر:
  - التاريخ الإسلامي (أبحاث في النظم والسياسة خلال القرون الإسلامية الأولى)، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 1426هـ/2006م.
  - العباسيون الأوائل (الثورة الدولة المعارضة)، ج1، مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2003م.
- الكردي، أمل محي الدين، دور النساء في الخلافة العباسية، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، 2014م.
- الملاح، هاشم يحيى، ونخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج6، كلية الآداب، جامعة الموصل (الخلافة)، بغداد، 1948م.

المجلات العلمية المحكمة

- الوحش، شادن، أسباب خروج الخلفاء العباسيين من بغداد للبحث عن عاصمة أخرى خلال الفترة من سنة 132هـ/749م إلى سنة 334هـ/945م، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، التصنيف سكوبس، مجلد 47، عدد 4، 2020م.
- الوحش، شادن، وآخرون، أول خلفاء بني العباس (أبي العباس السفاح) حياته وتأثيره في وصوله للخلافة، حوليات عين شمس، العدد الرابع، المجلد 46، 2018م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2023